في المراهقة يتغامز الأولاد لفكرة المرأة الحامل ولمشهدها. يكتمون البسمة الماكرة، أعرف ذلك ولا أذكر واقعة بعينها. أحببت حب المراهقين العاصف: قاطرة تطير، لا يلحق بها لا ظلها ولا جاذبية الأرض، ترتج، تحرق وقودا، تشق الدخان المنبعث منها بصفاراتها العالية، أحمال الشهوة مكدسة فيها تثقلها، ولكنها، سبحان الله، تطير!

تزوجت وأنا في الخامسة والعشرين، تزوجت امرأة اسمها شهرزاد، خلّفت لي ثلاث بنات، ثم أخذتهم وذهبت، قلت: لا يهم! ولكني في الليل كنت أجلس على سريري مفزوعا كمن استيقظ فجأة ليجد نفسه في مدينة غير مدينته، لا يدري متى انتقل وكيف، وماذا حدث له على الطريق.

توقف عن الكتابة، قال: أنا لا أحكي الحكاية، بل أعبر من جانب إلى جانب على قنطرة من ألواح متباعدة، لماذا أبقيها متباعدة؟ كيف أحكي حياتي دون الخوض فيها؟! كيف أتفكّر في أطرافها وأخبر بما يؤول إليه أمرها وهي كرؤية معلقة على رجل طائر؟ قال: ما لا أكتبه زائد عن الحاجة، لا يدخل في صلب الحكاية، ولا يغير من الأمر شيئا: ذهبت امرأتي إلى الموت أو إلى رجل آخر، خلفت لي أولادا أو بنات، عشتُ وحيدا بعدها أو تناسختْ في حياتي تجربة اليمام، غصنٌ وإلفٌ وأبدية، كنت رجلا ملولا فاقد الصبر يُقبل ويُدبر بمنطق يستعصي على الفهم، أو آمنا وساكنا في جيب الكنغر الذي توفره لي امرأتي، لا فرق، هل هناك فرق؟! تقول طبعا هناك فرق، فأقول لك: حدق دقيقة واحدة في مشهد زلزال، تشققت الأرض بفعله، وتهدمت البيوت، واختلطت أحجارها وأخشابها بأشلاء الجثث. أنا من أهل المدينة المنكوبة يا سيدى، ما جدوي التفاصيل؟! بلى، بعض التفاصيل لا مهرب منها، هل يمكنك إسقاط حقيقة أنك مقعد مقيد إلى كرسيك، غير قادر على الصعود والنزول، والرواح والمجيء بقانون ساقين قويتين قادرتين على الحركة ببطء أو سرعة، متثاقلتين إن أرادتا، مهرولتين إن قصدتا، وإن عنّ لهما الركض تجد نفسك راكضا وتطير؟!